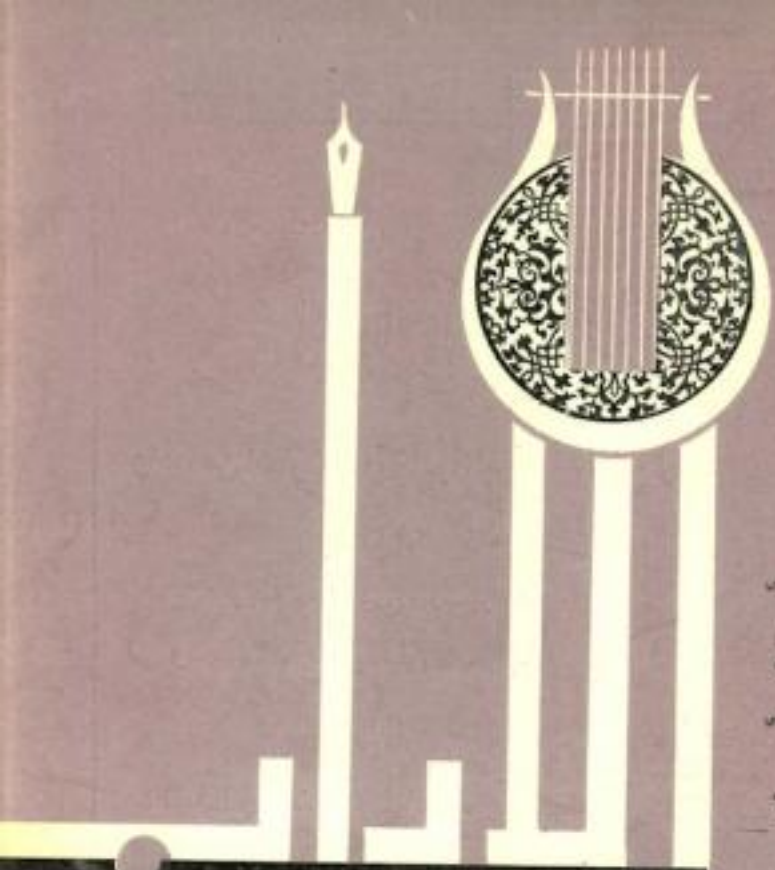

الآداب

مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

في هذا العدد

أبحاث

حاج وعامان	الدكتور سهيل ادريس
شعبي الجزائي » في الجزائر	العفيف الاخضر
سرحية والمسؤولية	يغلم ج. ه. ساراي ترجمة د. ع. بدوي
الجريمة والعقاب »	عماد حاتم
ه ابحاث العدد الماضي	الدكتور كامل اليوهي
ه قصص العدد الماضي	سيري حافظ
سلام والرأسمالية	خليل احمد خليل
ي الشعر السوداني الحديث	عبد الرحمن عبد الله
وس في « الذي يأتي ولا يأتي »	خليل سليمان كلفت

قصائد

طيبي	حسن النجمي
يا لا يأتي	عبده بدوي
عرس المطير	محمد عفيفي مطر
مرة الملح	كاظم السماوي
داد الدروبي	حسب الشيخ جعفر
في الكهوف	طاهر الحسن
شتاء والشهيد والعنود	نبي الحلي
ثاني الصحراء	خالد علي مصطفى
جيرة الحطب	حسن عبد الله القرشي
نة زاهية	عبد الرحيم العزاوي

قصص

النجوم والجمرة الخامدة	محيي الدين اسماعيل
طاوي	فهمي حسين
وار	عبد المجيد لطفي
ي » لا يقتل (مسرحية)	يونسي ولباعز

العدد التاسع
ايلول (سبتمبر)

السنة الرابعة عشرة
١٩٦٦

الانتاج الجديد

القلقـــون

للكاتبة الجزائرية اسيا جبار

لعل من الميزات الاساسية للثورة الجزائرية فيما يخص الادب الجزائري المكتوب بالفرنسية انها اعادت الادباء الجزائريين الى ديارهم، واشعرتهم بقيمة الحياة الجزائرية كمادة اساسية لادب جزائري صميم. واحس باني اصبحت اميل إلى تغيير رأيي فيما يخص الادب المكتوب باللغة الاجنبية ، فقد اخذت اشعر من خلال ما اقرأ للادباء الجزائريين الذين يكتبون بالفرنسية انهم ـ رغم انهم منفيون في لغة اخرى ـ استرجعوا الاديب الجزائري الكامن في نفوسهم من خلال احساساتهم بواقع حياة الانسان الجزائري ، وبواقع الثورة الكامنة في نفوس شباب الجزائر وشاباته : الثورة النفسية والفكرية والاجتماعية التي خلقت الثورة التحررية . وانطبعت هذه الثورة في ادبهم فكانت روايات محمد ديب التي تصور الحالة النفسية لانسان ما قبل الثورة والتي تسلمه الى الهيام وراء المسدس او الى الاندفاع وراء الحرية او الى البحث عن الانتقام . وكانت هذه الرواية التي اقدمها اليوم ، وهي تصور جانبا اخر من انسان ما قبل الثورة ، الثورة الاجتماعية هذه المرة ، الثورة في سبيل الحرية الاجتماعية ـ التي ينشدها الشباب كما تنشدها الشابات ـ من رواسب المجتمع المتخلف الذي يعيش بعقلية الماضي في قلب الحاضر .

ومن الطبيعي ان تتسم هذه الثورة بالقلق فان الشباب الجزائري ـ كسائر شباب الشعوب التي تعيش على ابواب التحرر ـ لم يعرف بعد طريقه ، وما يزال يعيش في دوامة الحيرة بين قوة الجذب نحو المستقبل وقوة الشد الى الوراء ، وهي حيرة تنتج الاخطاء بقدر ما تتلمس الصواب ، وهي مع ذلك ، ومن اجل ذلك ، تسلم الثائرين الى قلق عاصف غامر لا يستبين معه الثائر طريقه رغم التمرد والجموح والاندفاع .

وقد عبرت عن هذا القلق اصدق تعبير الكاتبة الجزائرية اسيا جبار في روايتها الرائعة « القلقون » .

والقلقون قصة فتاة جزائرية متعلمة تعيش في عائلة محافظة بين اخيها وارملة والدها وعجائز من العائلة تخلف بهم زمانهم في المنزل الكبير واخواتها المتزوجات والمرأة الفضولية الساحرة التي تعيش ـ مترددة على المنزل ـ على ما تعرفه من اسرار كل فرد من افراد الاسرة. والسر اصبح مفتاحا الى فرض سيطرة غامرة على كل من في المنزل حتى انها لتملك توجيه حياة افراد الاسرة تحت ستار التهديد بافشاء السر .

وهي ـ دليلة بطلة الرواية ـ تختزن مأساتها ، مأساة الفتاة التي تريد أن تتحرر فتجتمع الى صديقاتها ، وتحضر حفلات الزفاف وترقص، وتخرج للشارع وحدها وتسير متطلعة الى المناظر والواجهات والوجوه وتتفرس الملامح وتستمع الى الكلمات العذبة تخترق اذانها ، وتنطلق من عقال صيحات العجوز المريضة في ركن غرفة ، وصيحات الشيخ الوقور عندما يدخل الى غرفته او يخرج منها طالبا « الطريق » : استبعاد وجوه السيدات ان تعترض عينيه الذابلتين ، ولكنها مع ذلك تعيش حياة القفص بين عنف اخيها فريد واحاطة زوج ابيها « ليلى » بكل دقائق حياتها وتصرفاتها . وتبدأ في التمرد حينما تكتشف ذاتها مع المرأة فترقص بين جدران غرفتها ، وتتحلل فتذهب الى حفلة عرس صحبة ليلى ، وتنطلق فترقص متحدية المجتمع ، متحدية الكلمة التي انحدرت الى مسامعها من صاحبة الحفل : « ان الفتيات المثقفات يفضلن الكتب» وكأنها تريد ان تجيب برقصتها : اني افضل الحياة .

واسلمها الرقص الى الشارع وكأنها ارادت ان تمنح نفسها كامل الحرية بعد ان حطمت اول طوق من القيد . وفي الحديقة التقت عيناها بعينيه « سالم » . اجفلت ، وفرت عيناها من ملتقى نظراته ، ولكنه لم يكن لينهزم وهو الخبير بالنساء . وهي تفر بصورتها . اما نفسها، اما روحها الظامىء فقد استجاب لعيني سالم لتبدأ سلسلة من المغامرات تحقق بها معنى الثورة في نفسها ، وتخضع المجتمع السجن الى ان يعترف لها باحقية هذه الثورة .

كانت تقابل « سالما » وتجتمع معه وتخلو اليه مندفعة بثورة نفسها، كانت تتحدى الطوق لتدرك « حريتها » مع الرجل الذي احبته، ولكنها مع سالم وجدت طوقا اخر يضيق حولها : الغيرة ، والعنف ، غيرتها من ان تمتد عيناه حتى الى صديقة لها كانت تتلمس عندها السبيل للافلات من سجن المنزل ، وغيرته من ان تتطلع اليها العيون الطافحة بالشهوة او تتطلع عيناها الى رجل اخر .

وقد كان سجن سالم لا يقل عن سجن العائلة ، ومع ذلك كانت تحبه ، وكانت تجد في صحبته حماية لها من سجن عذبها ضيق عطنه. وفي الصراع بين الافلات من سجن الى سجن تدور فصول الرواية الطويلة ، التي لا تكاد تخرج في احداثها عن أي رواية تصور مغامرة فتاة في سبيل الظفر برجل ، تواعدا معا على الزواج ، وكانت ظروف الحياة ، وشذوذ التفكير في المرأة يدفعان الى تاخير هذا الزواج حتى انتهت حياة الرجل في وسط العقدة التي كان لها الاثر في سير احداث الرواية ، فقد كان على علاقة سابقة بارملة والد دليلة ، وكان كل منهما يحاول ان يخفي هذه العلاقة القديمة التي ظلت تنبض في قلبيهما حتى تزوجت الارملة من جديد ، وعاد من فرنسا ـ تاركا العشيقة الصغيرة التي فرت من الجزائر لتلتجىء اليه كامل حريتها ـ عاد الى الجزائر ليلقى عشيقته القديمة الارملة الصغيرة التي تزوجت من جديد، وليلقيا معا مصرعهما بمسدس الزوج الجديد .

وبموت سالم وليلى ، وجدت دليلة نفسها في الشارع . لم يقبلها عالم الحرية ، وكان لا بد ان تعود الى المنزل القديم وقد خلا من الاخ بعد ان اودع السجن ، ولم يبق من افراد العائلة الذين يمكن ان يتحملوا مسؤوليتها الا هي : دليلة .

قيمة الرواية ليست في الاحداث التي تسردها ، ولكنها في شيئين اثنين :

اولهما تصوير البيئة الجزائرية بكل عقدها الاجتماعية وخاصة عقد المراة في حبها وزواجها وتفاهاتها وحقدها وجريها وراء الفضائح . وفي خوفها من الرجل ورعبها من ظله . وعقد الرجل في حبه الامتلاك والسيادة والسيطرة على المرأة وفي غيرته القاتلة رغم احتكاكه بالمجتمعات المتحررة كما يظهر سالم من خلال علاقته بدليلة حتى في قلب باريس التي فرت من سجن العائلة اليها لتعيش الى جواره ، فقد كان يحاول ان يسجنها في غرفة ويمنعها من أن تتصل بتلميذة زميلة لها.

والثاني : تصوير القلق الذي يعذب الاجيال الحديثة المتطلعة الى الحرية ، القلق العاصف بين القيم الموروثة والحرية التي لم تتضح معالمها في نفوس الشباب والشابات .

والهدف من الرواية كان هو هذا التصوير الرائع للقلق الجارف. ولا يسع مجال الرواية في حديث قصير كهذا ان ينقل فقرات تصوير القلق فكل فصول الرواية تحلل جانبا من هذا القلق : في المنزل وبين افراد العائلة وفي الشارع وبين الصحاب ، مع الرجل في حبه وفي غضبه وفي ثورته وفي غيرته . فقد عبأت آسيا جبار كل مواهبها لتصوير القلق من خلال الاحداث الصغيرة التي تقتضيها ظروف الرواية .

والعقدة في الرواية هي الزيف واخفاء الحقيقة والتكتم وراء الاشياء الخاصة . فليلى أرملة الاب لها ماض مع سالم ، وهي تحاول ان تخفي هذا الماضي حتى لا تهدم سمعتها وسط الاسرة وقد اصبحت هي السيدة الاولى فيها وان لم يكن لها اولاد ، وهي ترتاح نفسيا لكل من يخفي حقيقة ما ، ولكنها تتطلع لاكتشاف حقائق الاخرين ، ونعيمة التي تعرف اسرار العائلة تحاول ان تضيف سر دليلة الى الاسرار العديدةالتي تعرفها لتضيفها الى ضحاياها ، ولكن دليلة تتمرد على هذا الزيف جميعه . فقد أحبت سالما واندفعت لتروي ظمأها من هذا الحب تمردا منها على الزيف ، وكشفت حقيقتها لنعيمة تمردا منها على مخبأ الاسرار، وكشفت سرها لاخواتها ولليلى لاخيها فريد تمردا منها على التفكير القديم في الفضيلة ، بل انها هربت من الجزائر الى فرنسا تمردا منها على زيف العلاقة بين الرجل والمرأة .

بذلك كانت الرواية منسجمة في الثورة على الزيف في كل مظاهره . وكان بناء الرواية قويا لا في الاحداث ، ولكن في بلوغ الهدف من تصوير القلق والزيف .

غير ان احداث الرواية مطبوعة فيبعض صورها بالطابعالسينمائي، وخاصة في حل المشاكل التي تتعقد بين يدي الكاتبة . مثلا : حادث السيارة التي دهمت دليلة بعد الثورة العاصفة التي ثار عليها سالم لغيرتها من ان يرى صديقتها امينة ، هذا الحادث انما اصطنعته الكاتبة لتحل المشكلة التي تعقدت حتى اصبحت في حاجة الى حل ، وبعد الحادث وبسببه عاد سالم وعرفته العائلة باعتباره الرجل الذي حملها الى المستشفى ، وبدأت قصة التفكير في زواجها منه . والحادث الذي انهى الرواية ، ووضع حدا لحياة سالم وحياة ليلى ـ وهما عقدتا الرواية ـ كان مصطنعا كذلك ، فقد ارادت الكاتبة ان تنتهي حياة سالم دون ان تتزوج منه لتكشف عن غواية القلق وغواية الثورة والتمرد الذي كان طائشا في معظم صوره فانهت حياة سالم وانهت حياة المرأة التي كانت مثال الزيف، وابعدت عن المسرح اخاها فريد الذي كان مثال الحارس القوي على سمعة العائلة واخلاقها فادخلته السجن ، وعادت البطلة الى المنزل لتتلقى نصيحة الشيخ الذي كان يضايقها وهو يطلب « الطريق » لتختفي النساء عن عينيه وهو داخل او خارج الى غرفته .

ان الحلول السينمائية تضعف من قوة الرواية في بعض المواقف ولكنها لا تنزل عن المستوى الذي ارادته لها الكاتبة ونجحت فيه .

بقيت كلمة عن الترجمة القيمة . فقد استطاع منذر الجابري ان يترجم الرواية الى عربية سامية ـ رغم بعض الاخطاء النحوية او اللغوية ـ ولكن اسلوبها لا يكاد يشعر بانها مترجمة . وبذلك قدم الى قراء العربية نموذجا رائعا في اسلوب رائع من الادب الجزائري الحي.

الرباط (المغرب) **عبد الكريم غلاب**

« صـح النوم »

قصة بقلم يحيى حقي

المطبعة النموذجية ، القاهرة ، ١٣٢ صفحة من القطع المتوسط

***

عرف يحيى حقي (يناير ١٩٠٥ ـ) في الحياة الادبية بانه قصاص مقل جدا ، لا يجيد اسلوب الدعاية عن نفسه . كل ما صدر له فيالقصة خمسة كتب صغيرة الحجم (١) ، وأقل منها في النقد والمذكرات والمقالات الادبية مجتمعة (٢) .

ومع هذا أحرز يحيى حقي شهرة فائقة . ووقف ، بهذا الانتاج القليل ، في الصف الاول بين القصاصين العرب . يجمع النقاد انه عبر بالقصة المصرية مراحل شاسعة ، بفضل اكتمال ادواتها الفنية ووضوح المضمون ، وأن أعماله التي يتالق الاداء المركز فيها تألق الشعر جزء عزيز في التراث الادبي الحديث .

ومن النقاد من يسرف ويعتبره ، الى سنة ١٩٥٩ ، أعظم من كتب القصة القصيرة في الوطن العربي (أحمد عباس صالح ، جريدة «الشعب» ، ٥ يوليو ١٩٥٩) ، ومن يعتقد أن « البوسطجي » من مجموعة « دماء وطين » ، « لو ترجمت هذه القصة الى لغة اجنبية لاحدثت ضجة في الاداب العالمية » (محاولة لتقديم قصة : البوسطجي، توفيق حنا ، مجلة الشهر ، سبتمبر ١٩٦٠) .

وترجع هذه المكانة الى انه ارتبط باسم يحيى حقي جيل كامل من الكتاب والقراء ، استأثر انتباهه فيه ، منذ أعقاب الحرب الكبرى الثانية، بجاوبه الحار مع الطبقات الشعبية ، ووجدانه الصادق العميق ، ونزعته الانسانية المتأصلة .

وكل من يطالع انتاجيحيى حقي يمسهعلى التو افتتان هذا الكاتب (الذي شرق وغرب خارج وطنه) بالقرية المصرية ، واحساسه الصوفي بنواحي الجمال فيها .

ما اشد التصاقه بالطبيعة في الريف .. بالارض والنبات والطيور، واعجابه بالسماء والنيل والغروب و « سقطة فرن الشمس » والليل؟! وما أغرب الفته للحيوان ، يستقي منه تشبيهاته ، ويسقط عليه من خصال الانسان ما يشاء . تصويره للجمل والبقرة والماعز في « صح النوم » مفعم بالتعبير ، لكأنه منتزع من مملكة الجمال الخالص . وأي قدر من الحب يحمله للفلاحين والنساء والاطفال جميعا ؟!

هل بدأت هذه الخصائص كرجع صدى للادب الروسي ـ أدب ترجينيف ودستوفسكي خاصة ـ الذي كان يطالعه بنهم بالغ في صدر شبابه (دمعة فابتسامة ، ص ٩٦) ، ولا ينكر تأثره به « كنت متأثرا بالادب الروسي أكثر من الادبين الانجليزي والفرنسي » (عشرة ادباء يتحدثون ، فؤاد دوارة ، كتاب الهلال ، يوليو ١٩٦٥ ، ص ١٠٥) ، أم أن نفس يحيى حقي ، وهو ما أميل اليه ، هي التي تهتز من قرارتها للطبيعة البكر ، وكل ما يحويه الكون ، وللبسطاء والضعفاء والمنكسرين؟!

أيا كان السبب فقد تمكن منه هذا الحب الى اخر المدى . وان خرجت قصصه الى المدينة التي تغلغل حبها هي الاخرى في روحه ـ خلال نشأته القاهرية الاولى ـ ، فالى بيئة قريبة من الريف تتجه . الى حارات الاحياء الشعبية مثل السيدة زينب (ودرب الحجر وبولاق والبغالة .. الخ) ، في أشجانها حول مقام الاولياء ، « وتعلق المهزومين والمرضى والمنكوبين بقضبانه » ، وسكونها وما لا يفض من أسرارها . في

---

(١) تنحصر قصص وألوحات يحيى حقي خلال أكثر من اربعين سنة في : « قنديل أم هاشم » ، سلسلة اقرأ عدد ١٨ . « صح النوم » ، « أم العواجز » ، « دماء وطين » ـ ابريل ، اغسطس ، سبتمبر ١٩٥٥ على التوالي . « عنتر وجوليت » ، مكتبة دار العروبة . (٢) «خطوات في النقد » ، مكتبة دار العروبة . « فجر القصة المصرية » ، المكتبة الثقافية ٦ ، « خليها على الله » كتب للجميع ١٤٥ . « دمعة فابتسامة » الكتاب الذهبي ، ديسمبر ١٩٦٥ .